تيّار المستقبل

الموقع الرسمي

بحثاً عن ذاكرة بلا أهل

تابع مؤسسة أمم حفرياتها في مجاهل الذاكرة الممتنعة والمهدورة فتعرض ضمن مشروعها التوث
دانكورات عن حرب المخيمات التي قامت بها حركة أمل ضد مخيم شاتيلا .صور الفيلم بمعظمها مد
قد التقطها مصور فلسطيني يدعى يوسف علي نفاع استطاع أن ينقذ كاميرا من محله القاث
بواسطتها إلى توثيق تلك الحرب.

الكاميرا التي التقطت هذه الصور كانت محاصرة بدورها لذا كان عالمها مباشرا وحيا وغير خاضع ل
باردة كما هو شان الكاميرات حين تتعاطى مع المآسي فتبردها وتلتقطها دوما بالزي الموحد وتح
كانت كاميرا تحمل كل اعصاب العين وخصوصيتها وهي تنسب المشهد على اهله وناسه وتهبه لأ
من الهوية التي لا يمكن لها ان تنتجز وتكتمل غلا انطلاقا من تلك اللحظة التي عثرت فيها على ذا
مشهد المجزرة .المجزرة في هذا المقام لم تعد حدثا عابرا يعبر بسرعة في فضاء العيش الفلس
والغسم يدل على الملكية وعلى الوجود لذا فعن المجزرة في هذا المقام صارت الغسم الممكن لل
نعمة امتلاك الإسم وتايا وبشكل اكثر بداهة الصفات .

ياخذنا الفيلم منذ مشاهده الأولى على أرض العجائب فيرينا مشاهد دمار المخيم التي صارت تمثل
وطبيعي في النظر إلى الى المخيم ولكنه لا ينسب هذا الدمار مباشرة على طرف محدد فنعتقد ل
هكذا وان هذا الدمار ليس سوى اصل يعاد انتا جه دوما بأياد مختلفة .طبعا كان الناظر والذي ا
يستطيع بسهولة فائقة تربحه من كل ثقل عاطفي ان يرد هذا الخراب على الغسرائيليين أو إلى
التي عرفت باسم مجزرة صبرا وشتاتيلا ولكن الفيلم ينعطف بنا انعطافة مفاجئة حتى يكاد يقلب ذ
المشهد إلى عنوان مر كنا قد ظننا لوهلة اننا نعرف كل شيء عنه ولكن اتضح أننا لا نعرف عنه شـ
نظن أن تلك الحرب التي اصطلح على تسميتها بحرب المخيمات لم تكن سوى لحظة عابرة من الـ
لا بد أن تمارسه قوى مسلحة تشارك بعضها الحير نفسه لكن ما يرينا غ ياه الفيلم يضه ذاكرتنا

والضروري لكي يعاد شحنها بالحقائق التي تبدو الآن طازجة وخاصة ان كل هذه المشاهد لم تعرض

المخيم مدمر بشكل فظيع ومرعب وشبه تام تحت وطاة قصف وحصار حركة امل له .هذه الحركة ا
المحرومين منذ نشأتها تنقض بضراوة لا مثيل لها مع من يشابهها ففي العيش تحت وطاة العيش ن
هذا المقام أن نفسر الحصار القاسي الذي دام لمدة اربعة أشهر والذي سبب موت عشرا
المواطنين على اكل الكلاب والجرذان بأنه محاولة لدفع عناصر الشبه من الواجهة وإحلال الإختلا
حال الفلسطيني المحاصر غير ممكنة للدخول في أي تعريف ممكن حتى في مجال المبالغات فيه
تفوق بمكنه من اعتبار هؤلاء الذين يقوم بحصارهم وقتلهم أدنى منه مرتبة بما لا يقاس.

الفيلم يعرض للقسوة في مظاهرها المدروسة والمعتنى بها فهناك فرق كبير بين معركة بين مق
عنها سقوط عدد كبير من الضحايا وبين حصار مقصود ومنظم لمخيم يضم آلاف الأطفال والنساء ولع
التي يرينا إياه الفيلم هو مشهد إحراق شاحنة مساعدات سمح بدخولها في لحظة هدنة هشة
من الكراتين الموضبة يماثل منظر نزيف انفاس الحياة نمن الاطفال الجائعين داخل المخيم .لم يكن
اللحظة مجرد طعام ومجرد ترف غذائي كان الحيات كلها موضبة وملفوفة وجاهزة للإستعادة والإس
كانوا يراقبون عبور الشاحنات أبوا إلا أن يجعلوا من القتل والموت عنوانا يلازم كل شيء حتى
الحركي للمخيم.

شاحنات المساعدات تحترق على مرأى من الجوع لبانه لم يعد في المخيم جوعى بل صار الناس
يغنين الالم كي يصعد ويصل إلى السماء ثم يخرجن في مظاهرة حاشدة .يحاولن احتراق مواقع
عليهن وتصاب أربعة نسوة .لم يعدن قادرات أن يكن نساء صاروا فلسطينيات اي مواد جاهزة للهدر

كل العناصر تجتمع ضد الفلسطينيين فيهجرون من مناطق بيروت والجنوب وتكمل البوارج الإسرائيل
وصول المساعدات إلى المخيم كما أن طائراتها تقوم بغارات منتظمة على المخيمات الفل
الفلسطيني قادرا على تلمس اي بريق ضوؤ يسمح له بتبيان وجه عدوه .يغرق في الظلام حتى ا
السوريون قادرين على تحمل الضغط العالمي والدولي فيقومون بوقفلا عطلاق النار وبانون بوفد
المخيم الذي لم يعد التوغل فيه ممكنا بسبب شدة الدمار .تصفيق وهتافات تعلن انتصار السخرية
يصفقون لنجاتهم التي يعلنونها ببهجة في وجه الطرف الذي كان الداعم الاساسي والممول الأكبر

تندلع الإنتفاضة بعد ذلك بقليل فينتبه الجميع إلى أنهم يستطيعون النجاة من كل ما ارتكبوه بحق
الدفاع عن هذه الغنتفاضة وتقديسها ؟هكذا يمحى التاريخ ويذوب امام وثن الإجماع الذي لا يبدأ ع
دوما من النسيان.

هناك قسوة فائضة تستطيع أن تطال المستقبل لم يتح لها الفرصة لتتنفس وهي جاهزة للتكرار
سليم يعتبر أنها ضاعت في المجاملات والتسويات والضرورات.

الشيخ عامر الذي كان مؤذن جامع شاتيلا في فترة الحرب والذي لازال كذلك حتى الآن يعتبر انه لا
الفيلم لانه سيربي في نفسه الحقد والغضب .يتحدث الشيخ عامر عن ضرورة النسيان الذي وحد
بالعيش يقول "يجب ان ننسى ". اسالهى هل كنت في تلك اللحظة تفكر في النسيان بعد أن تم
،في تلك اللحظة لم أكن افكر سوى في القتللا أما الآن فلا أريد سوى العيش ."

_هل نسيت؟

_لا لم أنس ولكن يجب أن أنسى .

الشيخ عامر يسعى إلى العيش خارج المخيم.يجيب بألم على سؤالي عما إذا كان سيبقى فلسط
المخيم التي صارت سمة للعيش الفلسطيني؟يقول "سأخرج من المخيم ولكني سأبقى فلسطين

لقمان سليم يتبع الفيلم الاساسي بفيلم صغير عو عبارة عن مقابلة مع مقاتل من حركة أمل كا
المخيمات ثم اصيب مرة أخرى في حرب حركة امل وحزب الله وهذه الإصابة الأخيرة سببت له شبه

يتحدث هذا المقاتل باستخاف وبقناعة عن موضوع حرب المخيمات ويبرر القتل بطريقة
بالموضوع .ختام الحديث مع هذا المقاتل يحيلنا على عالم الحقائق المخفية والتي نظن أنها ماتت
الفعلان عن نفسها بفظاظة ومباشرة .يعلن المقاتل إنه يكره أربعة أمور هي الإصابة والعمى والفلس
كل هذا السياق يعلن ببساطة إلى أن الدم في هذه المنطقة من الهول هو بلا سعر على الإطلاق

موقع تيار المستقبل، ٢٠ نيسان ٢٠٠٩